سلسلة شرح أسماء الله الحسنى
(١٢)

الفتوحات الإلهية

شرح أسماء الله الحسنى للذات العلية

اسم الله
العفو

لفضيلة الشيخ
محمد الدبيسي
حفظه الله وعفا عنه

مكتبة الاعتكاف
مسجد الهدى المحمدي
بالظاهر
بنغازي
١٤٣٠ هجرية

سلسلة شرح أسماء الله الحسنى

(١٢)

الفتوحات الإلهية
شرح الأسماء الحسنى للذات العلية
اسم الله
العفـــو

لفضيلة الشيخ
محمد الدبيسي
حفظه الله وعفا عنه

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٣٠هـ. الموافق: سبتمبر ٢٠٠٩ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المحتويات

تقديم..... ٧

تمهيد..... ٩

الفصل الأول: معاني اسم الله تعالى «العفوّ»

الدليل على اسم الله تعالى «العفو»..... ١٣

المعنى اللغوي..... ١٤

معنى «العَفوّ» في حق الله تعالى..... ١٦

الفرق بين «العفو» و«العافية» و«المعافاة»..... ١٩

حظ المرء من اسمه تعالى «العَفوّ»..... ٢٠

الحظ الأول: أن يعظم طمع المرء في عفو الله تعالى..... ٢٠

الحظ الثاني: الافتقار إلى عفو الله تعالى..... ٢٣

الحظ الثالث: أن تعفو عن الآخرين..... ٢٦

مسألة: ما الفارق بين العفو والذل؟..... ٢٧

مسألة: ترك التثريب في العفو..... ٢٧

مسألة: هل يجوز التخلق بأخلاق العَفْو مع غير المسلمين وإن أساؤوا؟..... ٢٨

مسألة: هل من مقتضيات عفو الله تعالى على العبد أن يستر عليه ذنبه يوم القيامة فلا يطلع عليه أحد؟..... ٢٩

الفصل الثاني: العَفْو

أولًا: عفو النبي ﷺ..... ٣٢

عفوه ﷺ عن الأعرابي الذي جذبه جذبة شديدة..... ٣٢

عفوه ﷺ عن قومه بمكة قبل الهجرة..... ٣٣

عفوه ﷺ عن ثمانين رَجُلاً أرادوا قَتلَه غِيلةً..... ٣٤
عفوه ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح..... ٣٥
عفوه ﷺ عن اليهودية التي حاولت قتله بالسُّم..... ٣٧
عفوه ﷺ عن أسَارى هوازن يوم حنين..... ٣٧
عفوه ﷺ عمَّن حاول قتلَه غِيلةً وهو نائم..... ٣٩
عفوه ﷺ عمَّن اتهمَّه بعدم العدل..... ٤٠
عفوه ﷺ عن اليهودي الذي سَحَره..... ٤٠
عفوه ﷺ عن الخادم والمرأة وغيرهما..... ٤٠
ثانيًا: عفو يوسف عليه السلام..... ٤٢
ثالثًا: عفو أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ٤٣
رابعًا: عفو عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٤٣
خامسًا: عفو الإمام أحمد رحمه الله تعالى..... ٤٤

الفصل الثالث: بعض الآيات الواردة في معاني اسم الله تعالى «العَفُو»

أولًا: الله تعالى هو العَفُو..... ٤٨
ثانيًا: الله تعالى يأمر نبيه بالعفو..... ٤٨
ثالثًا: حال النبي ﷺ هو العفو..... ٥٠
رابعًا: الله تعالى يأمر المؤمنين بالعفو ويحثهم على طلبه منه جل وعلا..... ٥٠
خامسًا: عِظَمُ عَفْوِ الله تعالى..... ٥٠
سادسًا: مَدْح الله تعالى للعافين..... ٥٣
خاتمة..... ٥٤
صدر من هذه السلسلة..... ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فلا هاديَ له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ..

فإِنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله تَعالى، وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ مُحدَثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

اللهم صلِّ على محمدٍ النبي وأزواجِه أمهات المؤمنين وذريِّته وآلِ بيته كما صليتَ على آل إبراهيم إنكَ حميدٌ مجيدٌ.

* * *

وبعدُ...

فهذا تفريغ لاسمه «العَفُوّ» ﷻ من دروس الأسماء الحسنى لفضيلة الشيخ: محمد الدبيسي - حفظه الله تعالى وعفا عنه - التي يُلقيها أسبوعيًّا يوم الثلاثاء. وهو من الأسماء التي يلزم المداومةُ على التخلق بها ليأخذ المؤمن التقي حظه منها فيسير بها على أخلاق النبي ﷺ، فينتظر بذلك عَفْوَ الله تعالى، مع علو الدرجة في الأولى والآخرة. خاصةً وقد فُقدت أو كادت هذه الأخلاقُ التي تُجمِّع القلوبَ وتُؤلف بينها وتضع فيها الرحمةَ والمسامحة والتجاوز، وحَلَّت البغضاءُ والشحناء والقطيعة بدلًا منها.

وكان من توفيق الله ﷻ أن طُبع في شهر رمضان المعظم، وهو شهر التوسعة العظيمة بالعفو من الله سبحانه على عباده الصائمين القائمين العافين، ليكون هذا الخلق العظيم في تلك الأيام المباركة هو الذي يجاهد المؤمنُ نفسَه على الاتصاف به والعمل بمقتضاه. يرجو أن يعفو الله عنه.

ولـ«العَفُوِّ» إن شاء الله طبعة موسَّعة، يذكر فيها فضيلة الشيخ محمد الدبيسي - حفظه الله وعفا عنه - آيات القرآن وقصصه كما هو منهجه في شرح الأسماء الحسنى، ولكن انتهازًا لتلك الفرصة في رمضان بادرنا بإخراج هذه الطبعة، وإن تأخرت عن وقتها.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة كاتبها وقارئها وناشرها والناظر فيها، مع الدعاء لمن أمدنا بخالص النصيحة إنه سميع قريب.

مسجد الهدي المحمدي

الظاهر - القاهرة

١٩ من رمضان ١٤٣٠هـ

٩/٩/٢٠٠٩م

تمهيد

إذا كان الله تعالى هو «الودود»، المُحِبُّ لعباده ﷻ، وهو الحبيب المحبوب من عباده، وهو الذي يجعل لعباده المتقين الصالحين الأولياء المحبين المحبة في قلوب الناس، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]؛ فإنه ﷻ جعل من آثار هذه المحبة: العَفْو؛ فإن من آثار محبة الله تعالى لعباده أن يعفو عنهم، وأنه لما كانت له ﷻ الأسماء الحسنى فإنه يحب أن يرى آثار أسمائه المشرفة هذه في الناس، فيريد ﷻ أن يرى أثر اسمه «العَفُوّ»، وأثر اسمه «الغفور»، وأثر اسمه «الرحيم».. وغيرها، فترى آثار رحمته، وآثار عفوه، وآثار مغفرته، كل ذلك يحب الله تبارك وتعالى أن يظهر في الناس؛ فمن ثَم قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[1]؛ فلأنه يحب أن تظهر آثار مغفرته، فإذا لم يذنب الناس فلِمَنْ يغفر المولى ﷻ؟ وإذا لم يتب على الناس فعلى مَنْ يتوب؟ وإذا لم تشمل الناسَ رحمتُه فمَن يرحم ﷻ؟ وهكذا بقية هذه الأسماء، وإن ظهور آثارها هي التي يتعرف الناس بها إلى ربهم، ويحبونه عليها، ويتقربون إليه بها، ويدعونه بها، ويوحدونه بها ﷻ. وذلك مقصود الشرع، ونجاة الخلق من أقصر الطرق وأفضلها إلى الله تعالى

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الفصل الأول

معاني اسم اللّه تعالى
العَفُوّ

- الدليل على اسم الله تعالى «العَفُوّ»
- المعنى اللغوي
- معنى «العَفُوّ» في حق الله تعالى
- الفرق بين «العَفْو» و«العافية» و«المعافاة»
- حظ المرء من اسمه تعالى «العَفُوّ»

الدليل على اسم الله تعالى «العفو»

«العَفُوُّ» من أسماء الله تعالى، ورد في القرآن والسنة:

قال الله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

والمتأمِّل في الآيات السابقة يرى أن اسم الله «العفوّ» ورد في القرآن خمس مرات؛ أربعٌ منها اقترن فيها اسم الله «العفو» مع اسم الله «الغفور»، والخامسة اقترن فيها باسم الله «القدير».

وقد ورد أيضًا في السُّنة الشريفة، ففي حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟». قَالَ: «**قُولِي: اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٣) وقال: «حديث حسن صحيح». ورواه أيضًا بنحوه الإمامُ أحمد في عدة مواضعَ بدون لفظ «كَرِيم»، منها حديث رقم (٦/ ١٧١) ط. ميمنية، وقال الشيخ شعيب في التحقيق: «إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين».

المعنى اللغوي[1]

للعفو عدة معانٍ في اللغة؛ منها:

- «العَفْوُ» أصلُه: من المَحْو والطَّمْس. «يعفو اللهُ» ﷻ يعني: يمحو السيئات ويَمْحَقُها ولا يعاتِب المُسِيءَ عليها، ويترك معاقبتَه عليها. وهو مأخوذٌ من قولهم: «عَفَتِ الرياحُ الآثارَ» يعني: إذا دَرَسَتْها ومَحَتْها، يعني: إذا كان للناس آثارٌ في مَشْيِهم على الرمال مثلًا فتأتي الرياحُ فتَمْحُوها وتَطْمِسها، فلا يَتبيَّنها أحد.
- وأيضًا: «عَفَا، يَعْفُو، عَفْوًا»: إذا سمح وأَسْقَط، فهو «عَفُوٌّ».

فإذا سَمَحْتَ وأَسْقَطْتَ المعاقبةَ على الذنب أو الجناية يقال عنك: «عَفُوٌّ».

- وكذلك «العَفْو» يكون معناه: التَّرْك.

يعني: إذا ترك المرءُ شيئًا تَوْسِعةً على الآخرين فقد عَفَا؛ قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. يعني: تركها المولى ﷻ توسِعةً على عباده.

- ويكون «العَفْو» أيضًا بمعنى: البَذْل، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] يعني: مَن بُذل له من أخيه شيءٌ، يعني: من أعطاه أخوه شيئًا.
- ويكون «العَفْو» أيضًا بمعنى: السِّتْر والتَّغْطية.
- ويكون «العَفْو» بمعنى: كَثُرَ. «عفا الشيءُ» يعني: كثُر، و«عفا الشَّعر» يعني: طال، و«عفا النبات» يعني: طال وكثُر كذلك. قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟

---

(١) انظر - بتصرف كثير: «الكتاب الأسنى» للإمام القرطبي رحمه الله (ج١/ ١٤٤ - ١٤٧) الطبعة الأولى. ومعاجم «لسان العرب، والقاموس المحيط»، مادة: [ع ف و].

﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥]، ﴿عَفَوا۟﴾ يعني: كَثُروا[1].

- و«العَفْو» أيضًا هو: الفَضْلُ. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] أي: الفَضْلَ.
- و«العَفْو» هو: المعروف.
- و«العَفْو»: خِيارُ الشيءِ وأجودُه.
- و«العَفْو»: ما أَتَى بغير مسألةٍ، و«العافي»: هو الذي يعطي بغير مسألة.

وإننا نذكر هذه المعاني كلَّها لِترى كيف وُصِف الله تعالى بها، سواء في التوسعة على العباد، أم في محو السيئات، وفي بذل الفضل - وغير ذلك من المعاني التي يشير إليها لفظ «العَفْو» مما يجوز وصف الله تعالى بها.

---

(١) هذه الآية معناها جميل، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: يلجأون إلى الله. ثم بعد ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ يعني: بعد أن أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إلى الله تعالى ويرجعون إليه ويتوبون، بَدَّلْنا مكان السيئات حسنات استدراجًا لهم. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ أي: حتى كثُروا وزاد مالُهم، فإذا بهم بدلًا مِن أن يرجعوا إلى الله تعالى، قالوا: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ يعني: ليس هناك في السراء إلهٌ يُسَبِّبُ هذه السراء ولا هذه الضراء، وإنما هو ترتيب الدنيا فقط، وليس هناك عبرةٌ في ذلك ولا عِظَةٌ ولا ما يدل على صِدْقِ النبي ولا كَذِبه، وإنما جاءت الضراءُ والسراء ولا علاقةَ لها بأمر الله جل وعلا. لذلك يكون لهم من الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

معنى «العَفُوّ» في حق الله تعالى

المعنى الأول: «العَفُوُّ» من أسماء الله تعالى، وهو على صيغة «فَعُول» من صِيَغ المبالغة، يعني: كثيرُ العَفْوِ ﷻ، يعني: يعفو ﷻ عَفْوًا عظيمًا متزايدًا متناسبًا مع مقدار عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ. و«العَفْوُ»: التجاوز عن الذنب وتركُ العقاب عليه؛ مشتقٌّ من «العَفْوِ»، أي: المَحْو والطَّمْس، ومعناه: أنه ﷻ يمحو سيئاتهم ويَطْمِسها.

فهو ﷻ يتجاوز عن سيئات المسيئين، ويترك مساءاتهم - وبالتالي يترك عقابهم - مع استحقاقهم لهذا العقاب ﷻ.

إنَّ من آثار اسم الله تعالى «العَفُوّ» أنه جل وعلا يَضَع عن عباده خطاياهم وآثامهم في الظاهر والباطن، وهذه الخطايا والآثامُ لا يَسْتوفيها ﷻ منهم، فلا يعاقبهم عليها، لماذا؟ الجواب: لهذه الأسباب التي سنذكرها إن شاء الله تعالى:

أول هذه الأسباب: التوبة والاستغفار، فإذا تابوا إلى الله تعالى واستغفروه، فإنه يعفو عنهم، بمحو هذه السيئات، وترك عقابهم عليها، فلا يستوفي منهم تلك الخطايا والآثامَ جل وعلا.

والثاني: الحسنات الماحية، فيتجاوز الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين إذا كانت لهم حسناتٌ عظيمة ماحية، فيعفو ﷻ عنهم ما اقترفوا من السيئات والذنوب بسبب هذه الحسنات الماحية، واللهُ تعالى من فضله وكرمه جَعَل أبواب تلك الحسنات الماحية كثيرة جدًّا، لذلك من استكثر في الحسنات وزاد في الأعمال الصالحة والقُرُبات، فإنه يوشك أن يمحو الله تعالى عنه السيئات والذنوب والخطايا؛ لكثرة هذه الحسنات. ومن أعظم هذه

الحسنات الماحية حسنة التوبة، كما قال جل وعلا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

والثالث: **الشفاعة**، فإن الله تبارك وتعالى يعفو عنهم بشفاعة الشافعين، فهؤلاء الشافعون يُشَفِّعهم اللهُ تبارك وتعالى في أولئك الذين استَحَقوا العقابَ واستحقوا أن يُؤْخَذوا بالذنب، ويَقبل شفاعتهم فيغفر لهؤلاء المذنبين.

والرابع: **الإكرام**، وذلك بأن يمحو اللهُ ﷻ سيئاتهم ويعفو عن ذنوبهم وآثامِهم وخطاياهم فلا يستوفيها كرامةً لبعضهم، وقد ورد ذلك في حديث الحَجِيج: أن الله تبارك وتعالى يغفر للحجيج كرامةً منه لبعض إخوانهم المحسنين فيهب مسيئهم لمحسنهم[1]، وجاء في الحديث: «**فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»[2] فيأتي أحدهم

---

(١) عَنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ غَدَاةَ جَمْعٍ: «**يَا بِلَالُ أَسْكِتِ النَّاسَ**»، أَوْ: «**أَنْصِتِ النَّاسَ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَطَوَّلَ عَلَيْكُمْ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا، فَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، ادْفَعُوا بِاسْمِ اللهِ**». أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٤)، وصححه الشيخ الألباني (صحيح ابن ماجه: ٢٤٦٨).

(٢) رواه الإمام البخاري (٦٤٨٣)، والإمام مسلم في صحيحهما (٢٦٨٩)، واللفظُ لمسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.
ونذكر تمام الحديث للفائدة: قال ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلًا يَتَبَعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ** - قَالَ: - **فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟! قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ - قَالَ: - فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا - قَالَ: - فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ، عَبْدٌ، خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ! قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**».

إلى المجلس ليس منهم فيُغفر له، فيعفو الله تبارك وتعالى عنه كرامةً لهم، أو قبولًا لعملهم الصالح كما ذكر الله جل وعلا في الحديث الذي أشرنا إليه.

قال الإمام الغزالي رحمه الله[1]: «العَفُوّ هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه»، فـ«العَفُوّ» أبلغ من «الغفور»؛ «فإن الغفران يُنْبِئ عن السِّتْر، والعَفْوُ يُنبئ عن المحو، والمحو أبلغ من السِّتْر».

---

(١) انظر - بتصرف كثير: «المقصد الأسنى» للإمام الغزالي، (ص١١٧)، مطبعة الصباح - دمشق - ط.١ - ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. وقد جعلنا كلام الإمام الغزالي بين قوسَيْ تنصيص هكذا: «...». وكلام الإمام الغزالي بأن العَفْو أبلغ من الغفور...إلخ، نَقَلَهُ عنه كثير من العلماء. وقال صاحب «سبل الهدى والرشاد» (١/ ٤٩٢): [«الغفور» أخصُّ مطلقًا من «العَفُوّ»؛ لأن «الغفور» يستر مع التجاوز، لأنه مأخوذ من «الغَفْر» وهو: السّتْر، ومِن لازِمه التجاوزُ في الجملة؛ لأن عدمَهُ - أي: عدم التجاوز - يُعَدُّ مؤاخذةً. و«العَفُوّ»: يتجاوز ولا يَسْتُر؛ لأنه مأخوذ من «العَفْو» وهو: المَحْو، وذلك بترك المؤاخذة بالذنب بعد ألا يستره] اهـ. وقال أبو هلال العسكري رحمه الله في «الفروق اللغوية» ما حاصِلُه: [«العَفْوُ»: تركُ العقاب على الذنب، و«المغفرةُ»: تغطيةُ الذنب بإيجاب المثوبة. ولذلك كَثُرت المغفرة من صفات الله تعالى دون صفاتِ العباد، فلا يقال: «الغُفْران: يقتضي إسقاطَ العقاب» فقط، فإن إسقاطَ العقاب هو إيجابُ الثواب، فلا يستحق الغفرانَ إلا المؤمنُ المستحِقُّ للثواب، وهذا لا يستعمل إلا في الله... والعَفْو: يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب ولهذا يُستعمل في العبد فيقال: عفا زيدٌ عن عمرو»]. انتهى - بتصرف كثير. وقال شيخ الإسلام رحمه الله في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]: [ثم سألوه العفوَ والمغفرة والرحمة والنصر على الأعداء؛ فإن بهذه الأربعة تتم لهم النعمةُ المطلقة ولا يصفو عيشٌ في الدنيا والآخرة إلا بها، وعليها مدار السعادة والفلاح. فـ«العَفْو» متضمِّنٌ لإسقاطِ حقِّه ﷻ قِبَلَهم ومسامحتِهم به، و«المغفرة» متضمِّنة لوقايتهم شرَّ ذنوبهم وإقبالِه عليهم ورضاه عنهم، بخلاف العفو المجرد؛ فإنَّ العافي قد يعفو ولا يُقْبِل على من عفا عنه ولا يرضى عنهم. فـ«العَفْو»: تركٌ محض، و«المغفرة»: إحسان وفضل وجُود، و«الرحمة» متضمنة للأمرين مع زيادة الإحسان والعطف والبر؛ فالثلاثة تتضمن النجاة من الشر والفوز بالخير...] انتهى - بتصرف يسير - من «مجموع الفتاوى - التفسير». وللمزيد من المعاني المتعلقة بالمغفرة وبأسماء الله تعالى «الغافر» و«الغفور» و«الغفار»، فارجع إلى شرح هذه الأسماء للمؤلف وهي متوافرة في صورة صوتية على مواقع الشبكة العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت).

المعنى الثاني لـ«العَفُوّ»: هو المُفْضِل، الذي يعطي الجزيلَ من الفَضْل، وهو مشتق من المعنى الثاني للعَفْو بمعنى «الفَضْل». فهو ﷻ العَفُوّ، ذو الفضل العظيم[1].

الفرق بين «العفو» و«العافية» و«المعافاة»

ورد في الحديث الشريف السؤالُ بالعَفْو والعافية والمعافاة:

عن معاذ بن رِفاعةَ عن أبيه قال: «قام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: «**سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ**»[2].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا العَبْدُ أَفْضَلَ مِن: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ المُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[3].

والعفو - كما ذكرنا - هو: أن يمحو اللهُ تبارك وتعالى ذنوبَ عبده.

أما **العافية**: فأن يُعافيه الله تبارك وتعالى من سُقْمٍ أو بَلِيَّة[4]، وهي - أي العافية - الصحة التي هي ضد المرض.

أما **المعافاة**: فأن يُعافِيَك اللهُ تبارك وتعالى من الناس وأن يعافِيَ الناسَ منك، وأن يُغْنِيَهم عنك وأن يُغْنِيَك عنهم ﷻ، وأن يَصْرِفَ أذاهم عنكَ وأن يصرف كذلك أذاكَ عنهم؛ هذه المعافاة. وهي مطلوب أهل الإيمان كما ذكرنا في شرح اسمه «السلام» جل وعلا.

---

(١) قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾ [البقرة: ١٠٥]، والآيات في ذلك كثيرة.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه» (٣٥٥٨). وأخرجه الإمام أحمد بنحوه في مسنده، قال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ (٣٩٨٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٤) (البلاء، والبلوى، والبلية): المِحْنة تَنْزِل بالمرء. انظر «المعجم الوجيز»، مادة: [ب ل ي].

ذلك هو الفرق بين العفو والعافية والمعافاة التي يطلبها المرء من الله جل وعلا، والتي ورد فيها أحاديث كثيرة.

فإذا علم المرء أن الله تبارك تعالى مُتَّصف بالعَفْو، وأنه ﷻ كثير العَفْو، وأنه جل وعلا يعفو عن الناس إذا تابوا واستغفروا، ويعفو عنهم إذا كان لهم حسنات كثيرة، بل يعفو عنهم بشفاعة الشافعين، ويعفو عنهم تكرُّمًا وفضلًا منه ﷻ، بل يعفو عنهم لأجل بعضهم كرامةً لهم لصلاحهم ولدعائهم ولأعمالهم المقربة لهم منه سبحانه؛ أفلا يدل ذلك على عظيم عفوه، وعلى أن يسارع المرء إلى هذا العَفْو ليكون له منه حظ عظيم.

حظ المرء من اسمه تعالى «العَفُوّ»

حَظُّ المؤمن من اسم الله «العفوّ» عدة أمور:

الحظ الأول: أن يَعْظُم طمعُ المرء في عَفْو الله تعالى

يعني: أن يعظم طمعُك في عفو الله تعالى مهما كثرت الذنوب والخطايا ومهما كثرت السيئات والآثام؛ لأن الله جل وعلا لما كان كثيرَ العفو لا يعظم على عَفْوِه شيءٌ، كما قال الصحابة رضي الله عنهم: «إِذًا نُكْثِرُ؟». قَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[1] ﷻ، الله أعظم وأجلُّ.

---

(١) رواه الإمام الترمذي بنحوه (٣٥٧٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، يرويه من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وتمام لفظ الحديث للفائدة: عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِمَأْثَمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرَ؟ قَالَ: **اللهُ أَكْثَرُ**». قال في «تحفة الأحوذي»: [«**اللهُ أَكْثَرُ**» قَالَ الطِّيبِيُّ: أَي: اللهُ أَكْثَرُ إِجَابَةً مِنْ دُعَائِكُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ: فَضْلُ اللهِ أَكْثَرُ؛ أَيْ: مَا يُعْطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَةِ كَرَمِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يُعْطِيكُمْ فِي مُقَابَلَةِ دُعَائِكُمْ. وَقِيلَ: اللهُ أَغْلَبُ فِي الكَثْرَةِ فَلَا تُعْجِزُونَهُ فِي الاِسْتِكْثَارِ فَإِنَّ خَزَائِنَهُ لَا تَنْفَدُ وَعَطَايَاهُ لَا تَفْنَى. وَقِيلَ: اللهُ أَكْثَرُ ثَوَابًا وَعَطَاءً مِمَّا فِي نُفُوسِكُمْ فَأَكْثِرُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُقَابِلُ أَدْعِيَتَكُمْ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا وَأَجَلُّ].

لذلك فإن الله تبارك وتعالى لما أمرَ المرءَ بالعفو فقد وعد بأن يعفو ويصفح؛ لذلك وردت آيات كثيرة في عفوه ﷻ، وسَعَة كرمه بمحو سيئات عباده وذنوبهم وخطاياهم وآثامهم حتى يجاهدوا أنفسهم لأن يتصفوا بما يليق بهم من عفو الله تعالى.

قد علمت أن من الطرق التي تتأهل بها لِعفو الله تعالى: التوبةَ والاستغفار، والحسناتِ الماحية، وكذلك شفاعة الشافعين، وحضور مجالس أهل العلم المتقين، وكثرة الدعاء إلى الله تعالى بالعفو والعافية كما أمر النبيُّ ﷺ عائشة: «**قُولِي: اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١).

---

(١) سبق تخريجه قريبًا. وفي مَغْزَى الجَمْع بين اسم الله «العَفُوّ» و«الكريم» في الدعاء في هذا الحديث الشريف يقول الحافظ الكلاباذي رحمه الله: «اللهُ تعالى كريمٌ مُتَفَضِّلٌ عَفُوٌّ غفورٌ جوَادٌ وشكورٌ، فإذا رفع إليه العبدُ سائلًا مَنَّهُ وطالبًا فضلَه، يتكرَّمُ جل وعلا عن أن يَحْرِمه، ويتعالى عن أن يَرُدَّه، وإنْ كان العبدُ لا يَستوجبُ العطاءَ ولا يَسْتأهل العفْوَ وكان جل وعز ساخطًا عليه غيرَ راضٍ عنه! فهو تعالى يتفضَّل من عنده فيُعطي مَنْ يستوجب الحرمان، ويعفو عن العقوبة كَرَمًا منه وتَفَضُّلًا؛ لأنه جل وعز لا يرضى حرمانَ عبده وقد مَدَّ إليه يده سائلًا منه مفتقِرًا إليه متعرِّضًا بفضله مما لا يَنْقُصه ولا يَؤُوده، ويَعْفو عن مَن يستوجب العقوبةَ وهو غير راضٍ عنه ولا قابلٍ منه. وهو يفعل ذلك عمن تَجلَّى عنده قَدْرُه ويَعْظُم لديه خَطَرُه؛ وهو المؤمنُ به المصدِّقُ له المُقِرُّ له بالوحدانية المُذْعِنُ له بالعبودية، وإن كان يأتي من العصيان ما يستوجب به العقوبةَ ومن الفعلِ ما يَسْتَحِقُّ به الحرمانَ، فهو جل وعز يُجِلُّ قَدْرَ عبده المؤمن أن يرد يديه صِفْرًا خائبتين وقد رفعهما إليه. وهو جل وعز قد يعطي الكافرَ به والجاحدَ له والمشركَ معه غيرَه بعضَ ما يسأله؛ كَرَمًا منه وفضلًا، ويؤخِّر عقوبتَه ولا يعاجله بها إذا رفع إليه يديه، وهو ساخط عليه مُبْغِضٌ له معرِض عنه؛ اسْتِدْراجًا له وإرادةَ السوء به، لا لإجلاله ولا لِقَدْرِه عنده وكرامته عليه، بل لأنه جوادٌ كريم متفضِّل حليم؛ قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤]، ومثله كثير. فإذا كان الله تعالى لا يَرُدُّ يَدَ مَن يرفعها إليه صِفرًا، وهو له عاصٍ ولأمره تاركٌ وعن أداء حقوقه مُعْرِضٌ؛ فما ظَنُّكَ بمن يرفع إليه يديه مفتقِرًا إليه، متذلِّلًا له، معتذِرًا إليه، مقبِلًا عليه، يسأله سؤالَ المُضْطَرِّين، ويدعوه دعاء الغريق، ويتعرض لعفوه تعرُّضَ مَن لا يستأهل لنفسه حالًا، ولا يرى لنفسه، لا يرجو إلا فضله، ولا يعتمد إلا على كرمه، سبحان الكريم ذي الفضل العظيم». انتهى من «بحر الفوائد» للحافظ محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي المتوفى في ٣٨٤هـ، شرح حديث: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ العَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا حَتَّى يَضَعَ فِيهِمَا خَيْرًا**».

وهذه الأدعية ينبغي أن تكون من ذِكْر أهلِ الإيمان، إذ كلما سمعوا هذا الاسم المشرف «العفوّ»، كانت وظيفتَهم التي يُوظِّفون أنفسهم عليها، وذِكْرَهم الذي يُدَنْدِنون به؛ أن يقولوا: «**اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا**». وينبغي على المرء ألا يخلو مجلسُه من ذكر الله تعالى، فلْيبادر إلى ذكر لا يغفل عنه حتى يُكتب من هؤلاء الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

مَن سَمِعَ اسمه «العَفُوّ» بادر إذًا إلى الاتصاف بهذا العفو، ودعا الله تعالى باسمه «العفو»، وتعلق به جل وعلا. وقد علمت أيها المسكين أن ذنوبك التي تريد أن يمحوها الله لك كثيرة، ولو اطلع عليها الناس لكان ذلك سبب فضيحتك في الدنيا والآخرة، ولولا عفو الله عنك بمحوه هذه الذنوب، وطمس هذه الذنوب - لكانت سببًا في افتضاحك في الأولى، وعلى رءوس الأشهاد في الآخرة، وأنت تعلم ذلك من نفسك في الظاهر والباطن، وأنت تُغمض عينيك عما تأتي من الأفعال، والأقوال، والوساوس، وعما تقترف من الذنوب والمعاصي التي تخشى أن يطلع عليها أحد وتستحي أن يطلع عليها الناس، واللهُ تعالى مطلع عليها كما تعلم، ومراقب لها، وشهيد عليها كما بينَّا في شرح اسمه «الشهيد» ﷻ؛ لذلك أنت محتاج إلى أن تأخذ حظك من اسم الله تعالى «العفو».

الحظ الثاني: الافتقار إلى عفو الله تعالى

إذا نظر المرء في أعماله وأقواله، وجد أنه ليس إلا عفو الله تعالى، أو الهلاك! فإذا وازنتَ بين سيئاتك وحسناتك، ووازنتَ بين ما يخرج منك إلى الله تعالى، وما ينزل إليك من الله جل وعلا من الستر والحفظ والرعاية والعناية والقيام على شئونك، وإمدادك بأسباب حياتك وبقائك، وإمدادك بأسباب طاعتك وعبادتك وقُرْبك، رأيت أنه إما عفوه وإما

الهلاك ﷻ؛ لأن الصاعد إليه منك - كما تعلم - لا يوازي نعمة واحدة مما ينزل إليك منه ﷻ.

لذلك كان لزامًا أن يعلمك هذا الاسم المشرف الافتقارَ إلى عفو الله تعالى، وأنك محتاج في كل نبضة من نبضاتك وفي كل دقيقة من دقائقك ظاهرًا وباطنًا إلى عفو الله تعالى؛ لأنك تعلم يقينًا أن ما تأتي به ربَّك ﷻ يوم القيامة ليس سببًا للنجاة، وأن ما أتيت من أعمال صالحة لو وُزِنت بنعمة واحدة من نعم الله تعالى لرجحت هذه النعمة؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ**». قَالُوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟». قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١).

كذلك يتعلم المرء من هذا الاسم المشرف: ألا يتكل على عمله وطاعاته وعباداته، ولا على قوته وفهمه وعلمه، ولا على شيء من ذلك، وإنما في كل ذرة من ذراته افتقارٌ محض إلى الله تعالى، وإلى عفوه جل وعلا، وأن يستشعر أنه إذا لم يعفُ الله ﷻ عنه فذلك بداية

---

(١) أخرجه الإمامان: البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) في صحيحَيْهما، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا. [وَمَعْنَى «يَتَغَمَّدَنِي بِرَحْمَتِهِ»: يُلْبِسنِيهَا وَيُغَمِّدنِي بِهَا. وَمِنْهُ: «أَغْمَدْت السَّيْف» وَ«غَمَدْته»: إِذَا جَعَلْته فِي غِمْده وَسَتَرْته بِهِ. وَفِي ظَاهِر هَذَا الحَدِيث دَلَالَةٌ لأَهْلِ الحَقّ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقّ أَحَد الثَّوَاب وَالجَنَّة بِطَاعَتِهِ، وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿**ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿**وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٧٢] وَنَحْوهمَا مِن الآيَات الدَّالَّة عَلَى أَنَّ الأَعْمَال يُدْخَل بِهَا الجَنَّة، فَلَا يُعَارِض هَذِهِ الأَحَادِيث، بَلْ مَعْنَى الآيَات: أَنَّ دُخُول الجَنَّة بِسَبَبِ الأَعْمَال، ثُمَّ التَّوْفِيق لِلأَعْمَالِ وَالهِدَايَة لِلْإِخْلَاصِ فِيهَا وَقَبُولهَا بِرَحْمَةِ الله تَعَالَى وَفَضْله. فَيَصِحّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُل بِمُجَرَّدِ العَمَل؛ وَهُوَ مُرَاد الأَحَادِيث، وَيَصِحّ أَنَّهُ دَخَلَ بِالأَعْمَالِ، أَيْ بِسَبَبِهَا، وَهِيَ مِن الرَّحْمَة. واللهُ أَعْلَم. وقوله ﷺ في رواية أخرى في آخر الحديث: «**فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**» أي: اطْلُبُوا السَّدَاد وَاعْمَلُوا بِهِ، وَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَقَارِبُوهُ، أَي: اقْرَبُوا مِنْهُ. وَ«السَّدَاد»: الصَّوَاب، وَهُوَ بَيْن الإِفْرَاط وَالتَّفْرِيط، فَلَا تَغْلُوا وَلَا تُقَصِّرُوا]. انتهى بتصرف واختصار من «شرح الإمام النووي على صحيح مسلم».

ونهاية هلاكه الذي لا هلاك بعده. وهذه الحال هي من أعظم الأحوال إن تحقق بها المرء في معاملته لله تعالى، وأن يُظْهِر لربه هذا الانتظار والمحبة للعفو، وأنه في نهاية الضرورة والحاجة إليه، وأنه لولا عفو الله تعالى لهلك، ولولا حب الله تعالى لشقي في الدنيا والآخرة.

وقد بَيَّن اللهُ تعالى ذلك فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. يعني: لولا فضلُه ورحمتُه ﷻ، لم يَتزكَّ المرء، ولم يُصَلِّ عُمُرَه، كما كان يذكر أصحاب النبيِّ ﷺ بمحضره:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا(١)

ولا غير ذلك من الأعمال الصالحة يستطيع المرء أن يفعلها إلا بفضل الله عليه وتوفيقه ورحمته جل وعلا.

إنَّ تَعَلُّم المرءِ هذه المسألة يُخرجه عن رعونة النفس التي ترى أنه تصدق، وصلى، وأنه يقوم الليل، ويقرأ القرآن، وأنه يفعل كذا وكذا. ومع ذلك فحالته سيئة؛ يقول: «أنا أصلي وأصوم وأفعل كذا وكذا من الطاعات، ولكن أجد أحوالي سيئةً في كذا وكذا، ومعاملاتي سيئة في كذا وكذا..» أليس كذلك؟

إذن لا تقل: «أنا صليتُ»، ولا: «أنا تعبدتُ»، ولا: «أنا تصدقتُ»، ولا:...إلخ. ولكن انسُبْ كلَّ هذا الفضل لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. فعلمتَ أن الفضل بيد الله تعالى في التزكية، وأنه هو الذي أعانك على

---

(١) انظر مثلا الحديث الذي أخرجه الإمامُ البخاري في مواضع، منها (٤١٩٦)، من حديث سلمةَ بن الأكوع ﷺ.

الطاعة، وأنه لو لم يُعنك عليها ما أعانك عليها أحد، وأن نفسك الأمارة بالسوء هذه لا تدعوك إلى الطاعة ولا تحملك عليها، بل تحملك على النوم والكسل، وتحملك على المعصية وعلى النظر المحرَّم والسماع المحرم، وعلى الأُنْس بغير الله تعالى، وتحمِلك على الشهوات والنزوات ونسيان الآخرة والميل إلى الدنيا، وأنت تعلم ذلك.

ولولا أن الله تعالى أقعدك في مكانك هذا لشاركت في المعاصي والسيئات والذنوب، فعلمت حينئذ أنه لا طريق لك إلا عفو الله تبارك وتعالى أو الهلاك.

فهذه المسألة مهمة وتبين لك حظك من الله تعالى في عفوه جل وعلا، الذي ينبغي أن تسعى وتسارع في تحصيله. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن صلاتك وبقية عباداتك لم تصل بعد إلى موضع القبول والمحبة التي يغير الله بها أحوالك السيئة، فالعيب من الوجهين فيك والنقص وعدم القبول في أعمالك.

الحظ الثالث: أن تعفو عن الآخرين

والحظ التالي من العفو، وهو: إذا علمتَ أنك محتاج إلى عفو الله تعالى، وأن كل ذرة من ذراتك هذه لولا عفوُه ﷻ لهلكتَ، وأن عملك كله لا يساوي شيئًا، وأنك لن تدخل الجنة بعملك هذا الذي تَدَّعي، فإنه حينئذ يكون من أخلاقك التي ندبك إليها الشرعُ أن تعفو عمَّنْ ظلمك، وأن تعفو عن الناس جميعًا؛ مَن أساء إليك وحرمك وجهل عليك، كما ورد في حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه القائل: «إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ». فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(١). ومعنى «**فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**» يعني: كأنَّه يضع في أفواههم الرملَ الحار الساخن، و«**الظَّهِير**» هو المعين الدافع لأذاهم. كأنه يقول له ﷺ: لكَ الحُجَّةُ عليهم ولكَ مِن الله عليكَ حافِظٌ ما دُمتَ على ذلكَ.

وقد أشرنا في شرح اسم الله تعالى «الودود» إلى أن ذلك من فواضل الأعمال في الحديث الذي سأل فيه عقبةُ بن عامر رضي الله عنه النبيَّ ﷺ قائلًا: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الأَعْمَالِ». فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةُ! صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(٢).

حظك من اسمه «العفو» ﷻ إذن: أن تكون عفوًّا؛ وليس عفوًا فقط عن الآخرين، بل عفوًا أيضًا على مَن ظَلَمك وجهل عليك وقطع عنك عطاءه وصلته وأساء إليك ولم

---

(١) رواه الإمام مسلم (٢٥٥٨)، يرويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر تخريجَ هذا الحديث الحسن والتعليقَ عليه وترجمةَ راويه رضي الله عنه في شرح اسم الله «الودود» ﷻ. (ص ٥٩، ٦٠) الطبعة الثانية.

يَصِلْكَ وأعرض عنك. لذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ**» رواه الترمذي، وقال: «حسن غريب»[1]، وهو حديث صحيح.

فمن كظم غيظًا لله تعالى، فإن الله تبارك وتعالى يُخيره على رءوس الخلائق في أي الحور شاء، بهذا الكظم للغيظ الذي ينبغي أن تتخلق به من أَخْذِك بحظك من أسماء الله تعالى وصفاته.

وكان النبيُّ ﷺ أعظم الناس تخلقًا بهذا الخلق الكريم من العَفْو صلوات الله وسلامه عليه، كما سنذكر في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

مسألة: ما الفارق بين العفو والذل؟

العفو هو القدرة على استيفاء العقوبة، فيصفح المرء عن المذنِب ويمحو سيئاته مع قدرته عليه. أما الذل، فإنه يعفو عنه مع عدم القدرة، والمهانة والضعف والعجز وذلة النفس؛ لذلك لا يتصف بالعفو إلا مَنْ كان قادرًا على إنفاذ العقوبة كما ذكرنا في بداية القول في تعريف العَفُو، وهو الذي يمحو السيئات ولا يعاجل أصحابها مع استحقاقهم وقدرته عليهم.

مسألة: ترك التثريب في العَفْو

ومن المسائل المهمة التي ذكرها أهل العلم مع خُلُق العَفْو: أن العافي لا يُذكِّر مَن عفا عنه بما كان منه، وهي مسألة مهمة كثيرًا ما نقع فيها، وهو أنه قد عفا عنه في مسألة أو في

---

(١) رواه الإمام الترمذي (٢٠٢١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، يرويه من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ.

أمر أو في شيء حدث له معه، إذا به بعد ذلك إن حدث حادث بينهما ذكَّره به قائلًا: «ألم أفعل لك كذا؟ ألم أسامحك في المرة السابقة؟ ألم أعفُ عنك؟ وفعلت كذا وكذا» فليس من تمام العَفْو أن يُذكره بسابق عفوه، وأن يذكِّره بهذا الجفاء الذي كان منه، وأن يذكره بمِنَّتِه عليه، بل من تمام العفو أن يعفو بغير مقابل، وألا يذكره بذلك، وألا يَمُنَّ عليه به[1]، بل - كما أشرنا- أن يزيد في إحسانه له، أو أن يحسن إليه بعد عفوه عنه، وهذا غاية المحو للجناية، وغاية المحو لها هي نفسها غاية اتصاف العبد بهذا الاسم المشرف «العفو».

يجب عليك إذن ألا يزال لسانك ذاكرًا بـ«اللهم إنك عفو كريم تحب العفو» «اللهم إنك عفو» «اللهم إنك عفو» حتى يضع الله في قلبك العفو عن الناس وحتى يمن عليك هو ﷻ بأن يعفو عنك، وتداوم على هذا الذكر لترى آثار هذا الاسم المشرف في قلبك، وفي فعلك، وفي قولك، وفي تصرفاتك، حتى يتجاوز الله تعالى عنك.

مسألة: هل يجوز التخلق بأخلاق العَفْو مع غير المسلمين وإن أساؤوا؟

العفو الذي ندب إليه الشرع إنما هو بين المؤمنين، لما أمر ﷻ بالعفو أمر ﷻ بمعاقبة الكفرة بمثل ما يُعاقِبُون به، ثم ذكر العَفْوَ ليس عنهم وإنما العفو على غير مزيد الجناية عليهم، فليس المقصود أن يعفو عنهم، وإنما المقصود ألا يتجاوز العقوبة في الاعتداء عليهم، وأن يعاقبهم بمثل عقوبتهم حتى ولو كانوا هم البادئين بالظلم، مع أن البادي أظلم، إنما لا يتجاوز المرء في عقوبته معهم عما عاقبوه به، ولا يعفو عنهم ويترك عقابهم إلا لمصلحة إيمانهم وتألُّفهم كما فعل النبيُّ ﷺ مع كفار مكة عند الفتح.

---

(١) وسنرى ذلك في عفو يوسف عليه السلام مع إخوته في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

مسألة: هل من مقتضيات عفو الله تعالى على العبد أن يستر عليه ذنبه يوم القيامة فلا يطلع عليه أحد؟

نعم، إن ذلك من مقتضيات العفو الواسع من الله تعالى، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ»[1].

(١) رواه الإمام البخاري (٢٤٤١) والإمام مسلم (٢٧٦٨) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

الفصل الثاني

العَفْـــــوُ

- عفو النبي صلى الله عليه وسلم
- عفو يوسف عليه السلام
- عفو أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- عفو عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- عفو الإمام أحمد رحمه الله

أولاً: عفو النبي صلى الله عليه وسلم

ونذكر بعض الأحاديث التي تُبيِّن شيئًا من عَفْوه ﷺ الواسع، والتي تُبين أنه ﷺ قد أخذ بحظٍّ وفيرٍ من اسمه تعالى «العَفُوّ».

عفوه صلى الله عليه وسلم عن الأعرابي الذي جذبه جذبة شديدة

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ». فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[1]. وفي رواية قَالَ لَهُ الأَعْرَابِيُّ: «احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ»[2]. ولم يُؤاخذه ﷺ!

تُرى لو كان أحدُنا مكانَه ﷺ ومَسَكه أحدٌ وخنقه، وقال له: «أعطني من مال الله لأنه ليس مالك ولا مال أبيك»، لحدث ما لا يُحْمد عقباه، وحدث كذا وكذا بينهما من المشاجرات وغيرها من الخلق السيئ.

---

(١) رواه بنحوه الإمامُ البخاري في صحيحه (٥٨٠٩)، والإمامُ مسلم (١٠٧٥) في صحيحه، وفي روايةٍ أخرى عند مسلم قَالَ: «ثُمَّ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً رَجَعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي نَحْرِ الأَعْرَابِيِّ». وَفِي رواية أخرى عنده أيضًا: «فَجَاذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ البُرْدُ، وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ». [وقوله «جَبَذَ» أي: جذب. قال الإمام النووي في الشرح: فيهِ - أي في هذا الحديث - احْتِمَالُ الجَاهِلِينَ وَالإِعْرَاض عَنْ مُقَابَلَتهمْ، وَدَفْعُ السَّيِّئَة بِالحَسَنَةِ، وَإِعْطَاءُ مَنْ يُتَأَلَّف قَلْبُهُ، وَالعَفْوُ عَنْ مُرْتَكِب كَبِيرَة لَا حَدّ فِيهَا بِجَهْلِهِ، وَإِبَاحَةُ الضَّحِك عِنْد الأُمُور الَّتِي يُتَعَجَّب مِنْهَا فِي العَادَة. وَفِيهِ كَمَالُ خُلُق رَسُول الله ﷺ وَحِلْمه وَصَفْحه الجَمِيل]. اهـ

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٤٧٧٥).

فهذا يبين هذا المعنى؛ لذلك كان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى كما ورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: «**وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

فأهلُ الإيمان إذن مَحْقُوقون - يعني عليهم حق - أن يكون حظُّهم من الله تبارك وتعالى هذا المعنى، وذكرنا أن النبي ﷺ هو أعظم الناس في هذه الأخلاق الحسنة. وقد يقول القائل: «أنا إذَا عَفَوْتُ عن فلانٍ سأكون مَحِلًّا للاستهزاء والسُّخْرية، ويقول الناس: إنني ضعيف، وإنني لا كرامةَ لي... إلخ» أليس كذلك؟

لا.. النبيُّ ﷺ عكس هذه القضية؛ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٢)، لا يكون العفو والأخلاق الحسنة الصالحة من عواقبها أن تكون في مَحِل الإهانة، لا.. لقد أكرمك الله تعالى بذلك ورفعك به، كما كان حال النبي ﷺ.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن قومه بمكة قبل الهجرة

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟». فَقَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ! وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا**

---

(١) رواه الإمام البخاري (٣٥٦٠) بنحوه، والإمام مسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الإمام مسلم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ». قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ؛ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

عفوه صلى الله عليه وسلم عن ثمانين رَجُلاً أرادوا قَتلَه غِيلةً

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سَلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥). قال الحافظ في «الفتح»: [قَوْلُهُ: «بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ»: هُوَ مِيقَات أَهْل نَجْد، وَيُقَال لَهُ: «قَرْن المَنَازِل» أَيْضًا، وَهُوَ عَلَى يَوْم وَلَيْلَة مِنْ مَكَّة. «قَرْنٌ»: كُلُّ جَبَلٍ صَغِيرٍ مُنْقَطِعٍ مِنْ جَبَل كَبِير... وَذَكَرَ مُوسَى بْن عُقْبَة فِي «المَغَازِي» عَن ابْن شِهَاب أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِب تَوَجَّهَ إِلَى الطَّائِف رَجَاء أَنْ يُؤْوُوهُ، فَعَمَدَ إِلَى ثَلَاثَة نَفَر مِنْ ثَقِيف وَهُمْ سَادَتهمْ، وَهُمْ إِخْوَة عَبْد يَالِيل وَحَبِيب وَمَسْعُود بَنُو عَمْرو، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسه وَشَكَا إِلَيْهِمْ مَا انْتَهَكَ مِنْهُ قَوْمه، فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَقْبَح رَدّ... وقَوْله: «مَا شِئْتَ؟» اسْتِفْهَام، وَجَزَاؤُهُ مُقَدَّر، أَيْ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ... قَوْلُهُ: «الأَخْشَبَيْنِ» بِالمُعْجَمَتَيْنِ: هُمَا جَبَلَا مَكَّة؛ أَبُو قُبَيْسٍ وَالَّذِي يُقَابِلهُ، وَسُمِّيَا بِذَلِكَ لِصَلَابَتِهِمَا وَغِلَظ حِجَارَتهمَا، وَالمُرَاد بِإِطْبَاقِهِمَا: أَنْ يَلْتَقِيَا عَلَى مَنْ بِمَكَّة... وَفِي هَذَا الحَدِيث بَيَانُ شَفَقَة النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْمه، وَمَزِيدُ صَبْره وَحِلْمه، وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَوْله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].]. انتهى باختصار وتصرف من «الفتح»، شرح الحديث رقم (٣٢٣١).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]»[1].

عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة يوم الفتح

عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ - فِيهِمْ حَمْزَةُ - فَمَثَّلُوا بِهِمْ. فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً»[2].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم (١٨٠٨) وغيره عن أنس ﷺ. [قوله: «ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ» أي: من كفارهم. «هَبَطُوا» أي: نزلوا. «عَلَى رَسُولِ اللهِ» أي: عام الحديبية. «مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ»: التنعيمُ موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة، وهو أقرب أطراف الحِلِّ إلى البيت، سُمِّيَ التنعيم بذلك لأن على يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم والوادي اسمه نعمان. «مُتَسَلِّحِينَ» أي: حالَ كونهم لابسينَ السلاح من الدروع وغيرها. «يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ»: «غِرَّةَ» بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء أي: غفلتهم. «فَأَخَذَهُمْ سَلْمًا» أي: أَسَرَهم، والمراد بـ«السَّلْم»: الاستسلام والإذعان، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٠] أي: الانقياد وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع. «فَاسْتَحْيَاهُمْ» أي: استبقاهم وتركهم أحياءً ولم يقتلهم، وفي رواية: «فَأَعْتَقَهُمْ». فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]، وإنما فصلَ الآيةَ بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ وعدًا لهم بجزاء ما صَدرَ عنهم من العَفْوِ بعد الظفر. انتهى - باختصار وتصرف كثير جدًّا - من: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أُبي بن كعب ﷺ، وقال - أي الإمام الترمذي -: «حديث حسن غريب» من حديث أُبي بن كعب (٣١٢٩). وأخرجه الحاكم وقال: «حديث صحيح» (٣٣٦٨) ط. العلمية. وقال الذهبي في «التلخيص»: «صحيح». [قوله ﷺ: «فَمَثَّلُوا بِهِمْ» أَيْ: مثَّلَ الكُفَّارُ بِالَّذِينَ أُصِيبُوا مِن الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، يُقَالُ: «مَثَلْتُ بالحيوان، أَمْثُل به، مَثْلًا»: إذا قَطَعْتُ أطرافه وشَوَّهْتُ به، و«مَثَلْتُ بالقَتيل»: إذا جَدَعْت أنفه أو أذُنَه أو مَذاكِيرَه أو شيئًا من أطرافِه، والاسم: «المُثْلة»، فأمَّا «مَثَّل» بالتشديد: فهو للمبالَغة. «لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ»: مِن الإِرْبَاءِ، أَيْ: لَنَزِيدَنَّ وَلَنُضَاعِفَنَّ عَلَيْهِمْ فِي التَّمْثِيلِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم...﴾ الآية؛ والأمرُ في قوله تعالى ﴿فَعَاقِبُوا﴾ وإن دل على إباحة المماثلة في المُثْلة من غير تجاوزٍ، لكن في تقييدِه بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ حَثٌّ على العفو تعريضًا، وقد صرّح =

انظر إلى عفوه ﷺ! آذاه قومه وآذَوْا أصحابَه ثلاثَ عشْرةَ سنة في مكة ثم قاتلوه ثمانية سنين وكسروا رَباعيته وجرحوا ركبته وأسالوا الدمَ من وَجْنَتيه الشريفتين يوم أُحد ثم لما تمكن منهم عند فتح مكة عفا عنهم ﷺ.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن اليهودية التي حاولت قتله بالسُّم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: «أَلَا نَقْتُلُهَا؟». قَالَ: «لَا»[1].

= به - أي صرَّح بالعفو - على الوجه الآكد فقيل: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾، أي: عن المعاقبة بالمِثل، ﴿لَهُوَ﴾ أي: لَصبرُكم ذلك، ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من الانتصار بالمعاقبة، وإنما قيل: ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ مدحًا لهم وثناءً عليهم بالصبر أو وَصْفًا لهم بصفةٍ تحصل لهم عند تركِ المعاقبةِ. وأمَّا قوله ﷺ «كُفُّوا عَنِ القَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً» فحتى هؤلاء الأربعة عفا ﷺ عن اثنين منهم! ففي حَدِيثِ سَعْد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه عِنْدَ النَّسَائِيِّ (٤٠٦٧) قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ؛ أَمَّنَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ»؛ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ خَطَلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ... وَأَمَّا عِكْرِمَةُ: فَرَكِبَ البَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: «أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَا هُنَا». فَقَالَ عِكْرِمَةُ: «وَالله لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ البَحْرِ إِلَّا الإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّينِي فِي البَرِّ غَيْرُهُ، اللهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا»، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ. وَأَمَّا عَبْدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ: فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ إِلَى البَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَا رَسُولَ الله! بَايِعْ عَبْدَ الله». قَالَ: «فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا؛ كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ». وحديث النسائي صححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ١٥٣) - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. انظر - بتصرف كثير جدًّا: «تحفةَ الأحوذي بشرح جامع الترمذي» للمباركفوري (٨/ ٤٤٤، ٤٤٥) ط. دار الكتب العلمية، و«تفسيرَ أبي السعود»، تفسير الآية السادسة والعشرين بعد المائة من سورة النحل.

(١) أخرجه الإمام البخاري (٢٦١٧)، ثم لَمَّا مات الصحابيُّ الذي أكل معه الشاة قتلها به ﷺ، كما بَيَّنَّا في سلسلة «إلا تنصروه - فتح خيبر» يسَّر اللهُ نشرها قريبًا والنفعَ بها.

عفوه صلى الله عليه وسلم عن أسارى هوازن يوم حنين

عن زُهَيْرِ بْنِ صُرَدٍ الجُشَمِيِّ[1] قال: «لَمَّا أَسَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ[2] يَوْمَ هَوَازِنَ، وَذَهَبَ يُفَرِّقُ الشُّبَّانَ وَالسَّبْيَ أَنْشَدْتُهُ هَذَا الشِّعْرَ»:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ المَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ[3]
امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ ... مُفَرَّقًا شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غِيَرُ[4]
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرُ هَتَّافًا عَلَى حُزُنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالغَمَرُ[5]
إِنْ لَمْ تَدَارَكْهُمُ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ[6]
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تُرْضَعُهَا ... وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ[7]

---

(١) زهيرُ بنُ صُرَدٍ السعديُّ الجشميُّ أبو جَرْوَلَ - ويقال أبو صرد - ﷺ مِن بني سعد بن بكر، وكان رئيس قومه.

(٢) حدثت هذه الغزوة بعد فتح مكة عندما سمعت هوازن بالفتح، فجمعَها مالك بن عوف وثقيفًا كلَّها ومُضَرَ وجُشَمَ كلَّها وآخرين لِقتال النبيِّ ﷺ. ولما أجمع مالكٌ السيرَ إلى رسول الله ﷺ ساقَ مع الناس أموالَهم ونساءهم وأموالهم خلف الجيش! و«حُنَيْن» هذا موضع بين مكة والطائف.

(٣) «امْنُنْ»، أي: أَحْسِن إلينا من غير طلبِ ثوابٍ ولا جزاء. «المرء»: الرجل، و«أل» هنا لاستغراق أفراد الجنس، أي: أنت المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة في الرجال. والأبيات من بحر البسيط التام.

(٤) «البيضة» هنا: الأهل والعشيرة. «الغِيَرُ»: تغيير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد.

(٥) «هَتَّافًا» أي: ذا هتف، أي: صوت. والمعنى: أَبْقَت الغِيَرُ الدهرَ هَتَّافًا على حزن. «الغَمَّاءُ»: الشديدة من شدائد الدَّهر، «وإنهم لفي غَمّاءٍ من أمرهم»: إذا كانوا في أمرٍ ملتبس شديدٍ. انتهى من معجم «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، باب الغين والقاف والنون معهما. والغمر - بغين معجمة مفتوحة وتكسر، فميم فراء: الحقد.

(٦) «نَعْمَاء»: النعمة.

(٧) «إذ»: حرف تعليل. «تَذَرُ»: تترك. وفي هذا البيت يُذكر زهيرٌ ﷺ رسولَ الله ﷺ بنشأته فيهم ورضاعه منهم حيث تنتمي مرضعةُ الرسول ﷺ إلى بني سعدٍ قومِ زهير ﷺ.

لا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... فَاسْتَبِقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ[1]
إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنَّعْمَاءِ إِذْ كُفِرَتْ ... وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ مُدَّخَرُ
فَالبس العَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ ... مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِنَّ العَفْوَ مُشْتَهَرُ
يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُمْتُ الجِيَادِ بِهِ ... عِنْدَ الهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتُوْقِدَ[2]
إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلْبِسُهُ ... هَادِي البَرِيَّةِ: إِذْ تَعْفُو وتَنْتَصِرُ[3]
فَاعْفُ عَفَا اللهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ ... يَوْمَ القِيَامَةِ إِذْ يُهْدَي لَكَ الظُّفَرُ[4]

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا الشِّعْرَ، قَالَ: «**مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ**»، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: «مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ للهِ وَلِرَسُولِهِ»، وَقَالَتِ الأَنْصَارُ: «مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ للهِ وَلِرَسُولِهِ»[5].

---

(١) «**شَالَتْ نَعامَتُهُ**»: أي هلكت. و«النعامة»: باطن القدم، و«شالت»: ارتفعت. ومَنْ هلكَ ارتفعتْ رِجلاه وسكن رأسُه فظهرت نعامةُ قدميه. «**زُهُر**»: الأزهُر كلُّ لون أبيض صافٍ مشرِق مضيء. والأزهر: القمرُ، ويقال: «قُمرٌ أزهر». والأزهر: يومُ الجمعة. والأزهر: كلُّ حيوان أو نبات برَّاق اللون مشرق. الجمع: زُهُر. انظر - بتصرف كثير: الوسيط، مادة: [ز هـ ر].

(٢) «**مَرَحَتْ**»: نشطت وخفَّت. الـ«كُمْتُ» - بضم الكاف وسكون الميم ومثناة فوقية: جمع «كُمَيْت»، وهو من الخيل، يستوي فيه المذكر والمؤنث من الكُمتة: وهي حمرة خالطتها قنوة، قال الخليل: «إنما صُغِّر لأنه بين السواد والحُمْرة كأنه لم يخلص له واحدة منهما فأرادوه بالتصغير لأنه منها قريب». «الهياج» - بكسر الهاء وتخفيف التحتية وبالجيم: القتال. «الشَّرَرُ»: جمع شَرَرَة، وهي ما يتطاير من النار. انظر - بتصرف: الصحاح مادة: [ش ر ر].

(٣) «**نُؤَمِّل**»: نرجو.

(٤) «**رَاهِبُهُ**»: خائفهُ. «**الظُّفَر**»: الفوز. وشرح مفردات هذا الحديث - إلا ما نَصَصْنَا عليه- منقولٌ بتصرف كثير من «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد» (٥/ ٤١٨، ٤١٩).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ح: ٥٣٠٣ - مكتبة العلوم والحكم)، وغَيْرِه، وحسَّن إسنادَه لغيره الشيخُ الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٧٦٠). وانظر إلى سعة عفوه ﷺ: تَرَكَ لهم ﷺ السَّبْيَ وفيهم الذرية والنساء، وكان السبيُّ حوالي ستة آلاف ما بين صَبِيٍّ وامرأة، وأعطاهم أنعامًا كثيرة ﷺ.

عفوه صلى الله عليه وسلم عمَّن حاول قتلَه غِيلةً وهو نائم

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا. فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟»**. فَقُلْتُ: «اللهُ» ثَلَاثًا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ[1].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩١٠، ٤١٣٥). [«**كَثِير العِضَاه**»: «**العِضَاه**»: كُلّ شَجَر يَعْظُم لَهُ شَوْك، وَقِيلَ: هُوَ العَظِيم مِن السَّمَر مُطْلَقًا. قَوْله: «**فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحْت سَمُرَةٍ**» أَيْ: شَجَرَةٍ كَثِيرَة الوَرَق. قَوْله: «**وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا**» أَيْ: مُجَرَّدًا عَنْ غِمْدِهِ. قَوْله: «**فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعك مِنِّي؟**»، وفِي رِوَايَة: «**فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعك مِنِّي؟**» وَكَرَّرَ ثَلَاث مَرَّات: وَهُوَ اسْتِفْهَام إِنْكَار، أَيْ: لَا يَمْنَعك مِنِّي أَحَدٌ؛ لأَنَّ الأَعْرَابِيّ كَانَ قَائِمًا وَالسَّيْف فِي يَده وَالنَّبِيّ ﷺ جَالِس لَا سَيْف مَعَهُ!! وَيُؤْخَذ مِنْ مُرَاجَعَة الأَعْرَابِيّ لَهُ فِي الكَلَام أَنَّ الله ﷻ مَنَعَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْهُ، وَإِلَّا فَمَا أَحْوَجَهُ إِلَى مُرَاجَعَتِهِ مَعَ احْتِيَاجِهِ إِلَى الحَظْوَةِ عِنْدَ قَوْمِهِ بِقَتْلِهِ. وَفِي قَوْلِ النَّبِيّ ﷺ فِي جَوَابِهِ: «**اللهُ**» أَيْ: يَمْنَعُنِي مِنْك إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ أَعَادَهَا الأَعْرَابِيّ فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى الجَوَاب، وَفِي ذَلِكَ غَايَة التَّهَكُّم بِهِ وَعَدَمُ المُبَالَاةِ بِهِ أَصْلًا. وَوَقَعَ فِي رِوَايَة ابْن إِسْحَاق بَعْد قَوْله: «قَالَ: اللهُ»: «**فَدَفَعَ جِبْرِيل فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُك أَنْتَ مِنِّي؟ قَالَ: لَا أَحَد. قَالَ: قُمْ فَاذْهَبْ لِشَأْنِك. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: أَنْتَ خَيْر مِنِّي**». وَأَمَّا قَوْله فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «**وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَجَلَسَ**»، فَفِيه أنه مَنَّ عَلَيْهِ ﷺ لِشِدَّةِ رَغْبَته فِي اسْتِئْلَافِ الكُفَّارِ لِيَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ، وَلَمْ يُؤَاخِذْه بِمَا صَنَعَ، بَلْ عَفَا عَنْهُ. وَفِي الحَدِيثِ فَرْطُ شَجَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُوَّةُ يَقِينِهِ وَصَبْرُهُ عَلَى الأَذَى، وَحِلْمُهُ عَنِ الجُهَّالِ وعفوُه عنهم]. انظر - بتصرف كثير جدًّا: «فتح الباري»، شرح الحديث رقم (٤١٣٥).

عفوه صلى الله عليه وسلم عمَّن اتهمَّه بعدم العدل

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيّ ﷺ يَقْسِمُ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيّ فَقَالَ: «اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ». فَقَالَ: «وَيْلَكَ! مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!». قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: «دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ؟». قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه البخاري[1].

عفوه صلى الله عليه وسلم عن اليهودي الذي سَحَره

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَال: «سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ؛ عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا». فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ اليَهُودِيّ وَلَا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ»[2].

عفوه صلى الله عليه وسلم عن الخادم والمرأة وغيرهما

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - زَوْجِ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا؛ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٣).

(٢) أخرجه النسائيُّ (٤٠٨٠)، قال الألباني: «صحيح الإسناد».

(٣) أخرجه الإمام البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧) واللفظ للأخير. [قَوْلها رضي الله عنها: «مَا خُيِّرَ رَسُول الله ﷺ بَيْن أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرهمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاس مِنْهُ». فِيهِ اسْتِحْبَابُ الأَخْذ بِالأَيْسَرِ =

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أيضا قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وسُئِلَتْ السيدةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»(٢).

وَالأَرْفَق مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا أَوْ مَكْرُوهًا. قَوْلُهَا: «وَمَا انْتَقَمَ رَسُول الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَة الله»، وَفِي رِوَايَة: «مَا نِيلَ مِنْهُ شَيْء قَطُّ فَيَنْتَقِم مِنْ صَاحِبه إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِم الله تَعَالَى فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى». مَعْنَى «نِيلَ مِنْهُ»: أُصِيبَ بِأَذًى مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. وَانْتِهَاك حُرْمَة الله تَعَالَى: هُوَ ارْتِكَاب مَا حَرَّمَهُ. قَوْلُهَا: «إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَة الله» اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع، مَعْنَاهُ: لَكِنْ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَة الله انْتَصَرَ لله تَعَالَى، وَانْتَقَمَ مِمَّنْ ارْتَكَبَ ذَلِكَ. فِي هَذَا الحَدِيث: الحَثُّ عَلَى العَفْو وَالحِلْم وَاحْتِمَال الأَذَى وَالِانْتِصَار لِدِين الله تَعَالَى مِمَّنْ فَعَلَ مُحَرَّمًا أَوْ نَحْوه. وَفِيهِ: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلأَئِمَّةِ وَالقُضَاة وَسَائِر وُلَاة الأُمُور التَّخَلُّق بِهَذَا الخُلُق الكَرِيم، فَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُهْمِلُ حَقَّ الله تَعَالَى]. انظر شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، شرح الحديث رقم: (٢٣٢٧).

(١) أخرجه الإمام مسلم (٢٣٢٨). [وقولها رضي الله عنها «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله شَيْئًا» أي: آدميًّا؛ لأنه ربما ضرب مركوبه. «وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا»: خُصَّا بالذكر اهتمامًا بشأنهما ولكثرة وقوع ضَرْب هذين والاحتياج إليه وضربهما، وإن جاز بشرطه فالأولى تركُه، كما أن ضرب هذين - المرأة والخادم - فإنه لحظ النفس غالبًا فَنُدِب العفوُ عنهما مخالفةً لهواها وكظمًا لغيظها]. انتهى - بتصرف كثير واختصار - من «مرقاة المفاتيح».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٦) وقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

عفو يوسف عليه السلام

وذلك في قوله تعالى:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٩ - ٩٢].

وقولهم: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضَّلكَ علينا. وفي قولهم: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي: مذنبين، وفي ضمن هذا سؤالُ العَفْو. وقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ «التثريب»: هو التعيير والتوبيخ، أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم. قال الزجاج: «المعنى: لا إفساد لما بيني وبينكم من الحُرْمة وحق الأخوة ولكم عندي العفو والصفح، فلم يفعل أيًّا من ذلك عليه السلام فقال بعدها: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فقال: ﴿ٱلسِّجْنِ﴾ مع أنه يريد «الجُبَّ» الذي وضعوه فيه حتى لا يُخْجِل إخوته بعدما قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾» اهـ. ورُوي عن الحسن أنه عندما ذَكَرَ يوسف عليه السلام وما ارتكب منه إخوته؛ قال: عَرّفهم عليه السلام بنفسه ثم استقبلهم بالعفو عنهم قائلًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ قال الحسن: «**فرضي الله به منه عملًا، وأثبته في كتابه ليأخذ به مَن بعده**»[1].

---

(١) انظر - بتصرف كثير: تفسير «القرطبي» و«الطبري» و«ابن أبي حاتم»، تفسير الآيات (٨٩-٩٣، ٩٩-١٠٠) من سورة يوسف.

عفو أبي بكر الصديق رضي الله عنه

كان الصديق ﷺ ينفق على مسطح بن أثاثة - أحد المهاجرين الفقراء - ولما حدث حادث الإفك للسيدة عائشة رضي الله عنها خاض مِسطحٌ في هذه الحادثة، وتكلم بكلام لا يليق ولا يجوز، فأقسم أبو بكر ﷺ ألا ينفق عليه؛ لوقوعه في زوج النبي ﷺ بهذا الكلام. انظر إلى الله تعالى وإلى عَفْوِه الذي ندب عباده إليه ﷻ فقال: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر ﷺ: «أحب أن يغفر الله لي»، ورجع مرة أخرى لينفق على هذا المهاجر الفقير، رضي الله عنهم أجمعين.

عفو عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بعد أن ذكرنا أنه ﷻ «العَفُو»، وأنه يأمر بالعَفْو، وأن أعظم المتخلقين به النبي ﷺ، وبعده أبو بكر ﷺ، ثم بقية أهل الإيمان المتخلقين بهذه الأخلاق الحسنة، نذكر هذه القصة التي تبين عفو عمر بن الخطاب ﷺ:

عن ابْنَ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا. فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: «يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ». قَالَ: «سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: «هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ»! فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: «يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ

لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ». وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»[1].

ومعنى «إنك لا تعطينا الجزل» يعني: لا تعطينا شيئًا. لما ذكَّره الحُرُّ بأن يأخذ العَفْو وأن يعرض عن الجاهلين، لم يعاقبه عُمر رضي الله تعالى عنه، وكذلك لم يفعل معه ما ينبغي بمثله من التأديب حيث قال كلامًا غليظًا جدًّا لعمر ﷺ؛ فمَنِ الذي يُعطي الجَزْلَ ويقسم بالعدل إذا لم يقسم عمر ﷺ في حينه بعد النبي ﷺ وبعد أبي بكر؟ فوجدنا أنهم حتى حينما كانوا في أعلى مناصبهم ومراتبهم وفي قوتهم التي يستطيعون أن يأخذوا بها حقهم، إذا بهم يعفون.

عفو الإمام أحمد رحمه الله تعالى[2]

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: «قال أبي: وَجَّه إليَّ الواثق أنِ اجْعَل المعتصمَ في حِلٍّ من ضربه إياك. فقلتُ: ما خرجتُ من داره حتى جعلته في حِل، وذكرتُ قول النبي ﷺ: «**لَا يَقُومُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ عَفَا**» فعفوتُ عنه».

وذكر في رواية المروذي قول الشَّعْبِيِّ رحمه الله: «إنْ تَعْفُ عنه مرةً يكن لك من الأجر مرتين».

---

(١) رواه الإمام البخاري (٤٦٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه.

(٢) امتُحن الإمام أحمد رحمه الله في فتنة «خَلْق القرآن»، حيث التَفَّ المعتزلةُ حول الخليفة المأمون والخليفة المعتَصِم من بعده، وأقنعوهما بأن يُجبرَا الناسَ على الأخذ برأي المعتزلة بأنَّ القرآن مخلوق خلافًا لما عليه إجماعُ السلف الصالح بأن القرآن كلامُ الله تعالى. فلما رفض الإمامُ أحمد رحمه الله أن ينساق مع آرائهم سَجَنوه وعذَّبوه وشَهَّروا به ومَنَعوه من التدريس أعوامًا، وقام المعتصمُ بضربه – وهو بين يديه – بالسِّياط ضربًا شديدًا حتى أُغمي عليه، ثم لما جاء الخليفةُ الواثِقُ ابن المعتصم إلى الخلافة فرّج عن الإمام أحمد وجميعِ أهل السُّنة.

وقال الإمام أحمد: «**وما على رجل ألَّا يُعَذِّب اللهُ تعالى بسببه أحدًا**».

وقال في رواية حنبل وهو يُدَاوي: «اللهم لا تؤاخذهم»، فلما برئ ذكره بذلك ابنه حنبل، فقال: «نعم، أحببتُ أن ألقى الله تعالى وليس بيني وبين قرابة النبي ﷺ[1] شيءٌ، وقد جعلته في حِلٍّ».

---

(١) يقصد بذلك الخليفة المعتصم العباسي؛ حيث ينتمي نسبُ الخلفاء العباسيين إلى العباس رضي الله عنه عمِّ رسول الله ﷺ.

الفصل الثالث

بعض الآيات الواردة في معاني اسم الله تعالى «العَفُوّ»

- أولاً: الله تعالى هو العَفُوّ
- ثانيا: الله تعالى يأمر نبيه بالعَفْو
- ثالثا: حال النبي ﷺ هو العَفْو
- رابعًا: اللهُ تعالى يأمر المؤمنين بالعَفْو، ويحثهم على طلبه منه جل وعلا
- خامسًا: عِظَمُ عَفْوِ الله تعالى
- سادسًا: مدح الله تعالى للعافين

أولاً: الله تعالى هو العَفُو[1]

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

ثانيًا: الله تعالى يأمر نبيه بالعفو

بالرغم من أن النبي ﷺ كان أكثر الناس عفوًا، إلا أن أمر الشرع إليه كان واضحًا، يعني: أن الله تبارك وتعالى لم يتركها كذلك حتى أمر بها النبي ﷺ فقال ﷻ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) ونذكر معظم الآيات اختصارًا بدون شرح في هذه الطبعة مع وَعْدٍ بِذِكر الشرح الإجمالي والتفصيلي للآيات في طبعات قادمة إن شاء الله تعالى كما نبهنا على ذلك في التقدمة.

فإذا رأينا ترتيب الكلام نجد أن الله تعالى أمر بالعفو، وكان ﷻ هو العَفُو، ثم بعد ذلك رأيناه جل وعلا يأمر النبي ﷺ بالعَفْو، ويأمره صلوات الله عليه وسلم عليه أن يُكثر من هذا العفو، وأن يكون حظُّه صلوات الله وسلامه عليه أعظمَ الحظِّ من الله تعالى، فأمره بذلك فقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؛ كلمات شديدة أمره المولى ﷻ بها لتكون كذلك علاقات وأخلاق المؤمنين مع بعضهم على العَفْو، وأخلاق المؤمنين اليوم على العكس تمامًا إلا من رحم ربي؛ إذا قلت لأحدهم: «سامِحْهُ»، يقول: «لن أُسامِحَه أبدًا، أنَسِيَ أني عملتُ له كذا وكذا، والآن يعمل كذا وكذا، لن أسامحه ولن أعفو عنه، لا بد أن آخذ حقي منه في الدنيا وفي الآخرة..». كلا؛ لا ينبغي أن يكون ذلك مِحل أخلاق أهل الإيمان اليوم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فقال الصديق رضي الله عنه: «بلى عفونا عفونا»؛ ليتخلق بهذا الخلق العظيم الذي هو من أسمائه ﷻ وصفاته.

..هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، يعفو لأنه يرجو اللهَ تعالى ومغفرتَه كما قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. لذلك لما أُمِرَ النبيُّ ﷺ بالعفو وجدناه ﷺ أسرع الناس عفوًا، وأكثرهم عفوًا صلوات الله وسلامه عليه، ووجدنا أخلاق الصحابة كذلك رضي الله عنهم أجمعين.

وقد ورد أمر الله تعالى لنبيِّه بالعَفْو في آيات أخرى:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وذلك مع اليهود.

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٧- ١٩٩][1].

ثالثا: حال النبي صلى الله عليه وسلم هو العَفْو

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

رابعًا: الله تعالى يأمر المؤمنين بالعفو ويحثهم على طلبه منه جل وعلا

ندب الله تعالى المؤمنين أن يدعوا الله تعالى بأن يعفوا عنهم؛ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

---

(١) ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: خُذْ ما عفا لك من أخلاق الناس، أي: ما سَمَحَتْ به أنفسُهم، وما سَهل عليهم من الأعمال والأخلاق، وتَسَهَّلْ معهم ولا تَطْلُبْ منهم ما يَشُقُّ عليهم، وهو من العَفْو الذي هو ضد الجهل. أو: خُذ العَفْو عن المذنبين؛ من العَفْو الذي بمعنى تَرْك العقاب، أي هو خُذ الفضل وما تَسَهَّل من صدقاتهم، وذلك قبل وجوب الزكاة. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾، المعروف هو المُسْتَحْسَن من الأفعال.

فأمرهم ﷻ بطلب العفو من الله جل وعلا، ثم أمرهم ﷻ أن يعفوَ بعضهم عن بعض، قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧] (١).

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

خامسًا: عِظَمُ عَفْوِ الله تعالى

فرأينا النبي ﷺ وبعده الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك الخلق الحسن من العَفْو، فلا يأتي أحد بعد ذلك ولا يتخلق بهذا الخلق الجميل متعللًا بأن فلانًا قد أساء إليه كثيرًا،

---

(١) في تلك الآية يُرَغِّب الله ﷻ الزوجاتِ اللاتي طُلِّقْنَ قبل الدخول بِهنَّ أن يعفونَ، أي: يَتْرُكنَ نصفَ الصَّداق الذي فرضه اللهُ لهنَّ، أو يعفو الأزواج فيدفعوا لهنَّ المهر كلَّه. ثم قال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وفعل فيه كذا وكذا. كلا؛ لا يمكن أبدًا أن تصدر هذه الأخلاق من إنسان مؤمن، ولِيَرَى هذه المعاني التي أشار الله تبارك وتعالى إليها؛ فإن الله جل وعلا قد ذكر العَفْو في آيات كثيرة لا يتخيل المرء أن يعفو الله تعالى فيها بسبب عظم الذنب، حتى إنه بيَّن أن ذلك ذنب عظيم؛ ليبين أن ذلك عفو عظيم كذلك، فقال ﷻ: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢]، وهذه الآية نزلت في اليهود بعد أن عبدوا العجل وفعلوا كذا وكذا، قال المولى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعني: كان يمكن أن يكون سياق الآية في غير القرآن الكريم «ثم عفونا عنكم لعلكم تشكرون»، وتكون الآيةُ سياقُها كذلك جميلٌ، وإنما ورد قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعني: بعد ذلك الذنب الكبير الذي أتيتم، وقوله «ثم» للتراخي الذي يُبين قيمةَ أو عظم هذا العفو. وورد عفوه ﷻ في اليهود في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

وورد عفوه جل وعلا عن المؤمنين في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥] (١).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ ﴿٣٣﴾ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٢-٣٤].

---

(١) هذه الآيات والتي قبلها في غزوة أُحُد.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣][1].

سادسًا: مَدْحِ الله تعالى للعافين

فإذا علم المؤمن ذلك، يعني: إذا علم ما ينبغي أن يعفو عن الناس، فإن الله تبارك وتعالى بعد أن أمر بطلب العفو من الله تعالى وبعد أن أمرهم كذلك بأن يَتخلَّقوا بالعَفْو فيما بينهم؛ مَدَح ﷻ العافين عن الناس. وإذا علم المؤمن واعتقد أن الله ﷻ هو العَفُوُّ على الإطلاق، وجب عليه أن يتخلق بخلق العَفْو حتى يدخل في مدح الله تعالى للعافين حيث جاز إجراءُ هذا الاسم على المكلَّفين، يعني: من الأسماء التي يجوز إجراؤها على المكلَّفين هذا الاسم، يقال: «إن فلانًا يعفو فهو عَفُوّ»، يعني: يعفو عن الناس، فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فمدحهم ﷻ وبيَّن قيمة عفوهم.

---

(١) في هذه الآية الكريمة يُعاتِب اللهُ ﷻ نبيَّه وحبيبَه ﷺ أنه أَذِن للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك في التخلُّف قبل أن يتبين صدقهم من كذبهم. وتأمَّلْ: هل سمعتَ بمعاتبةٍ أحسنَ من هذه؟! ناداه جل وعلا بالعَفْو قبل المعاتَبة، ثم رخَّص له بعد ذلك في سورة النور أن يأذن لأصحابه إن شاء، فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢]. تنبيه هام: الأنبياء جميعهم – والنبي ﷺ إمامهم – صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ كبيره وصغيره بعد البعثة، وإنما عاتب الربُّ جل وعلا حبيبه ﷺ في اجتهاده ذلك بأنه خالف الأَوْلَى، فالعتاب إذن من قبيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين». ولتفصيل ذلك فارجع إلى محاضرة «عصمة الأنبياء» للمؤلف عند شرحه لقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

وقد ذُكرت في هذا المجال قصصٌ كثيرة للصحابة وبعض التابعين: أنه كان يسيء إليه عبدُه مثلًا، فكان يعفو عنه ويقول له: «أنت حُرٌّ لوجه الله تعالى».

وعلى العكس اليوم: إذا وجد المرءُ ابنه أو مَنْ هو أصغر منه لا يردّ عليه مثلًا، كانت هذه سوءةً من السوءات، وعظيمة من العظيمات، وداهية من الداهيات التي يقول فيها: «إنه يستهزئ بي، ولا يهتم بي، وهو يسخر مني..» وكل هذه الألفاظ التي نستخدمها، والتي ينبغي أن يكون في معنى اسمه «العَفُوّ» ﷻ اليوم تغييرٌ لهذه الأخلاق، وانتظارٌ لعفو الله تعالى بها كما أشرنا في قوله تبارك وتعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

❊ ❊ ❊

خاتمـــة:

إذا كان حظ العبد من هذا الاسم - كما أشرنا - أنه ينتظر عفو الله تعالى، وأن يأخذ بالأسباب حتى يستحق بها هذا العَفْو، فعليه إذن أن يُكثر من الدعاء بالعَفْو من الله تعالى، وهذا من الأمور المهمة؛ أنك إذا سمعت هذا الكلام فليكُن حديثك اليوم وفي بقية الأيام: «اللهم إنك عَفُوٌّ كريم تحب العَفْو فاعفُ عني»، دعاءً بطلب العَفْو، وتعلقًا بالله تعالى فيه[1]، وخروجًا عن رعونة النفس - كما ذكرنا - في رؤية العمل، وأنك مُتَّكِلٌ على رحمة الله تعالى، وأنه لولا عَفْوُ ﷻ لهَلَكَ، وأنه لولا عَفْوُه كذلك في الآخرة سيَهْلِك، هذا هو الأمر الأول الذي نريد أن نُنبه عليه.

والثاني: كيف يبدأ فيُجَرِّب نفسه في العَفْو عن إخوانه وعن الناس، وعن القريب منهم والبعيد، كما أمر المولى ﷻ، وكما كانت حياة النبي ﷺ على هذا العَفْو.

وليس المطلوب فقط هو أن يعفو المرء عن كل من ظَلَمه بأن يترك معاقبته، كلا ولكنَّ المطلوب أن يعفو عنه ويزيد على ذلك بأن يحسن إليه، كما يرى الله جل وعلا محسنًا في الدنيا على العصاة والكفرة غير معاجِل لهم بالعقوبة، يعني: أن يعفو عمن ظلمه وأن

---

(١) وقوله ﷺ: «اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ» أي: إنك ذو فضلٍ وذو كَرَمٍ، تُحب الإفضالَ والإنعامَ. و«العَفْوُ» هو: الفَضل، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] أي: الفضلَ وما لا يُجْهِد المنفقَ إنفاقُه. أصلُه: مِن عَفْوِ الشيء، وهو كثرتُه ونماؤُه. و«عَفُوٌّ» أيضًا، أي: مُتجاوِزٌ عن السيئات. «تُحِبُّ العَفْوَ»: ولذا خلقتَ المذنبين. «فَاعْفُ عَنِّي» أي: امْحُ ذنوبي، فإني كثير التقصير وأنت أَوْلَى بالعفو الكثير. فهذا دعاءٌ من جوامع الكلم، مَن حازه حاز خَيْرَيِ الدنيا والآخرة. انظر - بتصرف كثير جدًّا: «فيض القدير»، شرح الحديثين (٥٢٨، ١٧٤٩)، و«مرقاة المفاتيح» (٤/ ٥١٧) دار الكتب العلمية - ط١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٠م.

يصل من قطعه وأن يعطي من حرمه، وهي المسألة الأعلى - كما ذكرنا - فلا يقتصر على محو السيئات وترك معاجلة العقوبة بها، بل أن يحسن إليهم، ويزيد في إحسانه إليهم. وفي هذه المسألة وردت قصص كثيرة عن السلف كيف أساء إليهم المسيئون ثم إذا بهم يعفون عنهم وإذا بهم يزيدون في إحسانهم إليهم أو يحسنون إليهم الإحسان الزائد لهم. كما يرون الله تعالى محسنًا في الدنيا على العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة، بل ربما يعفو عنهم ﷻ، بل يتوب عليهم من كفرهم وشركهم ومعاصيهم، وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم ﷻ، كما ذكرنا في توبته على عصاة المسلمين أنه قال ﷻ: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وفي الكفرة قال ﷺ: «**الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ**»(١) أي: يمسح تلك السيئات، «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(٢)، وهذا غاية المحو للجناية.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٣٥٧)، من حديث عمرو بن العاص ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٨٤): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات».

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٠): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

صدر من هذه السلسلة «الفتوحات الإلهية شرح الأسماء الحسنى للذات العلية» ما يلي:

اسم الرسالة	الرقم التسلسلي
نظرة إجمالية في الآيات الواردة في اسم الله «**الوكيل**» سبحانه وتعالى	(١)
اسم الله «**الوكيل**» سبحانه وتعالى	(١)
معنى اسمي الله تعالى «**الوَلِيّ**» و«**المَوْلَى**»	(٢)
نظرة إجمالية في الآيات الواردة في اسمي الله تعالى «**الوَلِيّ**» و«**المَوْلَى**»	(٣)
اسم الله «**القوي**» سبحانه وتعالى	(٤)
اسم الله «**القدوس**» سبحانه وتعالى	(٥)
اسم الله تعالى «**الودود**»- الطبعة الأولى	(٦)
«**الشاكر**» و«**الشكور**» سبحانه وتعالى	(٧)
اسم الله «**الرفيق**» سبحانه وتعالى	(٨)
«**المَلِك**» و«**المالِك**» و«**المَلِيك**» جل وعلا	(٩)
اسم الله «**اللطيف**» سبحانه وتعالى	(١٠)
اسم الله «**السلام**» سبحانه وتعالى	(١١)
اسم الله «**العفوّ**» سبحانه وتعالى	(١٢)